البعثات العلمية وتأثيرها الإيجابي في التثقف العربي النيجيري

إعداد

أحمد أبوبكر عبد الله

قسم الدراسات العليا، جامعة إلورن –نيجيريا

e–mail:– abuabdullah152011@yahoo.com

G.S.M NO:– +2348032853267

لمشاركة في المؤتمر الدولي الثالث تحت العنوان: **"الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي"**

ملخص البحث:

إن العلاقة الموجودة بين البلدان العربية وديار نيجيريا كانت وثيقة عتيقة، وكان مرجعها التجارة والدين والسياسة والرحلة التعلمية. هذا، وتعتبر البعثة العلمية إلى بلدان العرب المختلفة من بواعث الازدهار والتطور للثقافات العربية في هذه الديار، ذلك لأثرها الإيجابي في الطلبة المبعوثين من حيث تنمية ملكتهم العلمية وتوسيع أفقهم الثقافي وتطوير موهبتهم الفكرية وغير ذلك من التوسعات الموجبة التي مكنتهم من القيام بالمسؤوليات التربوية ومواجهة تحدياتها المعاصرة بعد العودة، حتى أصبحوا وكالة النهضة وسدنة التقدّم والتطور للتعلم العربي النيجيري، كل ذلك هو بؤرة هذه المقالة تحت المحاور الآتية:

- نبذة تاريخية عن البعثة والمنح الدراسية العربية في نيجيريا
- أنواع المنح الدراسية لأبناء نيجيريا في الجامعات العربية
- مظاهر البعثات التعلمية في التثقف العربي النيجيري
- التوصيات ثم الخاتمة. نسأل الله سبحانه العون والسداد وعليه قصد السبيل.

توطئة:

يرجع فضل ظهور اللغة العربية في نيجيريا إلى العلاقة التجارية الموجودة بين التجار العرب ورصفائهم النيجيريين في الزمان القديم، وللدين الحنيف فضل انتشاره بمجهودات العلماء المسلمين الذين أقبلوا على دراستها وتدريسها بالجد والجدارة، وكانت الرحلة العلمية إلى بلدان العرب المختلفة من أسرار نهضتها وازدهارها في هذا المجتمع. وهذه المقالة تكشف للقارئ العزيز مظاهر الرحلة التعلمية إلى العالم العربي في حقل التثقف العربي النيجيري ويتطرق إلى ذلك حسب المباحث التي ندرسها فيما يلي.

نبذة تاريخية عن البعثة والمنح الدراسية في نيجيريا

بدأت الصلة العلمية بين بلدان العرب وأبناء نيجيريا منذ أمد بعيد وذلك قبل معرفة كلمة "نيجيريا" ذاتها، وكان حج البيت أول ما أتاح الفرصة التعلمية لأبناء هذه الديار في العالم العربي، حين كانوا يمشون إلى الحجاز بالأقدام ويعودون إلى أرض الوطن بعد حول أو أكثر من مغادرتهم إياها. يقول شيخو أحمد سعيد غلادنثي في كتابه حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا:

> لقد كان المسلمون في نيجيريا يقومون بأداء فريضة الحج مع أنه أمر شاق جدّا في ذلك الزمن، وكان يستغرق عدة سنوات. فكان الحجيج يخرجون في قافلة صوب الشرق ويتكسّبون في الطرقات، إما بالتجارة أو الصناعة أو كليهما. وربما يقومون في بعض الأحايين بالأعمال الزراعية، إما لغيرهم وإما لأنفسهم. ويقوم البعض بالتدريس خلال السفر كما يقوم بالتعلّم إذا صادف من هو أعلم منه في الطريق. وكان أمثال أولئك إذا مرّ بالأزهر انتهزوا الفرصة واستمعوا إلى مشايخه وإلى علمائه الكبار، واتصلوا بهم وبغيرهم من العلماء وكونوا صداقة معهم وأفادوا واستفادوا في العلم[1].

نذكر من أولئك العلماء الذين حجوا وتعلموا في العالم العربي على سبيل المثال الشيخ محمد الفلاني الكثناوي الذي اتصل بالحسن الجبرتي صادقه وأقام عنده فترة في القاهرة ثم توفي هناك بعد عودته من الحجاز[2]، ويذكر القلقشندي كذلك أنه اتصل برسول ملك البرنو إلى الملك الظاهر أبي سعيد برقوق الذي وصل إلى الديار المصرية سنة أربع وتسعين وسبعمائة هجرية (1391م) في صحبة الحجيج[3]. ومنهم أيضا الشيخ جبريل الذي هو مدّرس الشيخ عثمان الفودي فقد حج مرتين وأقام مدة طويلة في المرة الأولى، وكذلك الشيخ محمد سمبو بن عبد الله بن محمد من أشهر العلماء في القرن الثامن عشر، وقد قضى أكثر من عشر سنوات في الحرمين لما حج ودرس هناك، وقد توفي في أقدس وهو في سبيله إلى مسقط رأسه[4].

وهناك عدد من الطلبة الذين يسافرون إلى القاهرة للالتحاق بها بالإضافة إلى الذين يجاورون الأزهر في طريقهم إلى الحج حينذاك. ومما يؤكد هذا القول وجود رواق خاص ببعض مدن هذه البلاد مثل رواق لأهل البرنو من وقت مبكر[5]. وقد نص البروفيسور غلادنثي في كتابه الحركة[6]، على أسماء طلبة نيجيريا الذين التحقوا بالأزهار حوالي سنة 1307هـ/1889م وكانوا ينتسبون إلى هذا الرواق، وكل هذا للدلالة على متانة الصلة العلمية بين هذه الديار وبلدان العرب من الأزل.

وفي الخمسينيات من القرن العشرين بدأت هذه الحركة من جديد حين حذا نفر آخرون -ممن يشار إليهم بالبنان في حقل التثقف العربي في هذه البلاد- حذو القدامى بالرحلة العلمية إلى العالم العربي وقيدوا أيامها شعرا أو نثرا، ومن أولئك العلماء العلامة آدم عبد الله الإلوري وقد خرج مع وفد من أهل الوطن قاصدين مصر للعلم، فاسمعه يبرر ذلك في الأبيات التالية حيث يحنّ إلى أرضه سنة 1946م:

أيا ذاهبا أرض نيجيريا أبلغــن سلامـي إلـى أصحابـها متراضـيا

وقل لـهـم إنّي أعود إليـهـموا إذا عسعس الليل ترى الصبح آتيا

لــما ذا لأنـي لا أروم تفـــاخـــرا ولكـن لمـن قـد ضـل أطلـب هاديا

ولست إذا ما ضاق صدري لما به بتـــارك فعــل الـخـير ما دمت باقيا

رأيــت بــلادي بالتقاليد أرهقــت تقـدمها أضحى عــن الديــن نــائـيا
ولـم تـر فيـها غيـر مـن كان حاسدا ولا عـالــما إلاّ عــن الحـق لاهــيا
لهـذا خرجـنا قــاصـدين أزاهــرا لإسقـاط ريـب القـلب مــما بدا لـيا
محمــد راجــي آدم ذو قصيــــدة محمــد سعــد وابــن سلــمان ثانـيا
ركبنا قطارًا مثل في فردوس في الهنا وراحتــنا بـس مـن لغــوس وزاريـا
وصلـنا إلـى الخرطوم بعد مشقه نـحــاول إذنــا عنـد ما كان ناهيا
مكثـنا بـها شهرًا ولـم نجـد المنى وقمـنا إلـى الشـلال نطـوي الفيافيا
إلى أن مررنا أرض خرطـوم كلّها وجئـنا إلى الشلال نخـشى الطواغيا
هنــاك منعــنا مــن دخـول المدينة علـى حـالـة مـن يـراهـا كمـا هيا
ففاضــت دمـوع العين مني غزيرة لــدى رجل ما كـان يرحــم باكيا
لسبعـين يومــا بعـد مكثــي هــاهنا أتــى أمـر ربــي وافــيا ومكـافـــيا
وأصبــحت فــي اليـوم الأغـر كمن يـذق حــلاوة صـبر بعد طول عنائيا
وقـد كـنت اليـوم في مصر بالهنا وكــان ابــن بمـبولا معــي سـعد تالي
عســى الله ينجيــنا إلــى مستقرنــا بخــير ويكفـينا الخـنا والمحــازيـــا[7]

هذا ويعد التاريخ 26-مايو-1952م بداية فكرة البعثات الرسمية للتعلم العربي في نيجيريا، وذلك في الاجتماع السادس عشر الذي عقده المجلس التنفيذي للحكومة النيجيرية[8]. وقد تكونت في الاجتماع لجنة لدرس إمكانية إرسال البعثة التعلمية إلى الخارج للدراسة العربية والإسلامية، ومن هذه اللجنة أيضا لجنة أخرى ذهبت إلى السودان بين 8 و 25 إبريل عام 1953م، لبحث عن المسائل المتعلقة بالدراسات العليا في الخارج وبعد عودتهم قدمت اللجنة الأصلية التقرير إلى الحكومة، مع التوصية بما يصلح إرسال الطلبة إليها من البلاد العربية بعد دراسة الحياة الاجتماعية والسياسية لكل من البلاد[9].

كانت السودان أول بلاد عربية أرسلت الحكومة الطلبة إليها، وذلك بين 1954-1955م، للحصول على الدبلوم في التدريس بمعهد بخت الرضا بالدويم[10]، وفي (1960م) عام الاستقلال أقبلت جمهورية مصر العربية، والسودان، والمملكة العربية السعودية، والعراق، وليبيا، بتقديم منح دراسية لنيجيريا وقبلت الحكومة تلك المنح ووزعتها على البلاد جميعا، وجدير بالذكر هنا أن الحكومة المصرية قد كانت تقدم المنح إلى نيجيريا قبل هذا الوقت إلا أن الحكومة الاستعمارية كانت ترفضها آنذاك[11].

وقد تغيرت الأوضاع منذ أواخر القرن العشرين لسبب أو آخر، حيث كانت الأفراد أو إدارة المدرسة الراغبة في إرسال طلبتها إلى الوطن العربي هي التي تقوم بالمحاولات والإجراءات اللازمة إزاء ذلك، من حيث المعادلة والمراسلة وإعداد جواز السفر والتأشيرة وغير ذلك، كما هو الحال في كثير من المدارس الإسلامية الأهلية مثل المعهد العربي النيجيري بمدينة إبادن بولاية أويو، في إرسال الطلبة إلى المملكة العربية السعودية، وكلية محي الدين للدراسات العربية والإسلامية في مدينة إلورن بولاية كوارا، في إرسال الطلبة إليها أيضا، وكلية دار الكتاب والسنة في إلورن في إرسال الطلبة إلى الأزهر بجمهورية مصر العربية، هذا باستثناء المعهد الديني الأزهري بإلورن الذي ظل في الحصول على المنح لطلبته الممتازين من الأزهر إلى الوقت الراهن.

وفي هذه الآونة كان الطلبة يستحصلون بأنفسهم على المنح -خاصة- للدراسات العليا في

جامعات الدول العربية المختلفة مثل، دراسة الدبلوم العالي في التربية المهنية في جامعة الملك السعود بالرياض في المملكة العربية السعودية، ودراسة الماجستير والدكتوراه فيها وفي غيرها من جامعات المملكة، وكذلك في كلية الدعوة الإسلامية بجمهورية ليبيا، وفي الجامعة الأمريكية في القاهرة، وفي جامعة الخرطوم بالسودان وغيرها.

ومن هذا القبيل الجامعات العربية التي تأسست على يد الدول العربية في الخارج من أمثال الجامعة الإسلامية بجمهورية النيجر، وأختها بأوغندا، ومعهد اللغة العربية الثقافية الإسلامية بجامعة بنين الوطنية التابع لكلية الدعوة الإسلامية بليبيا، ومن هذه الجامعات كان الطالب يحصل على المنحة عن طريق إجراء المقابلة التحريرية والشفهية[12].

أنواع المنح الدراسية لأبناء نيجيريا في الجامعات العربية

قلنا سابقا إن الطلبة كانوا يحصلون على المنح الدراسية عن طريق إجراء المقابلة التحريرية والشفهية في بعض الجامعات العربية، ومن ثم تتنوع المنح الدراسية عند هذه الجامعات حسبما يلي:

النوع الأول: المنحة الكاملة

إذا جلس الطالب للامتحانات وحضر المقابلة قِبل لجنة القبول في الجامعة؛ ثم انتهت نتيجته إلى الامتياز يحصل على المنحة الكاملة، ومغزاها حصوله على المكافأة الدراسية والسكن وتلقي الدرس.

النوع الثاني: نصف المنحة

وإذا كتب الطالب الامتحانات فأجرى المقابلة ثم حصل على جيد جدا فيهما، يحصل على نصف المنحة، ويستحق به لما دون السابق من المكافأة بإضافة إلى السكن وتلفي المحاضرة.

النوع الثالث: الانتساب

إذا فشل الطالب في نتائج الامتحانات والمقابلة ينتمي إلى هذا النوع، وعليه فقط الحضور لكتابة الامتحانات في آخر الفترة، دون المكافأة والسكن وتلقي المحاضرة، وإذا حاول لاحقا ونجح بالامتياز أو بجيد جدا يستحق إذا إما للكاملة أو للنصف من المنح وإلا يستمر على علاته[13].

مظاهر البعثات العلمية في التثقف العربي النيجيري

أثبت علماء علم النفس اللغوي الحديث أن تعلم لغة ما في بيئتها الطبيعية؛ تساعد على سرعة اكتساب اللغة للفرد، ويعمل كثيرا في رز جذور تلك اللغة ونقل ثقافاتها إلى الأمام لدى مجتمع المتعلم، يشهد على هذا المرحوم الدكتور علي أبوبكر -من علماء نيجيريا الذين أخذوا من مصر في الستينيات- في كتابه "الثقافة العربية في نيجيريا" حيث يقول:

> أن الدراسة في الجمهورية العربية المتحدة للطالب الوافد لا تنحصر فيما يتلقاه من الأستاذ في البحث أو المحاضرة فحسب، ولكنها تتعداها إلى خارج الجامعات أيضا حيث يتلقى بجميع حواسه دروسا صامتة ناطقة في الإخلاص والتفاني من أجل الشعب والوطني، يتلقاها جميع الطلبة الوافدين على اختلاف مراحلهم من ذلك (الدكتور) المفدّى السيد الرئيس جمال عبد الناصر. فالدراسة في القاهرة إذن لا تقتصر على المجال العلمي فحسب، وإنما تتعداه إلى المجال العملي والتطبيقي أيضا[14].

والبروفيسور عبد الرزاق دَيرَيمِي أبوبكر أحد أساتذة اللغة العربية الأفذاذ في نيجيريا يعلل خيرات الرحلات التعلمية إلى بلاد العرب في النص التالي:

> أن الرحلات -إلى مختلف البلاد العربية- التي قام بها طلاب اللغة العربية والثقافة الإسلامية من شعوب الأمة الإسلامية في العالم بعد الحصول على الشهادات الابتدائية أو الإعدادية أو التوجيهية أم الثانوية... بها تثقفت عقولهم وعولجت عيوب نطقهم ونالوا التوجيهات في صناعة الكتابة والخطابة ولاسيما العمل في الدعوة والإرشاد، إضافة إلى ما تضمنته تربيتهم من صنوف التقدم في مواد اللغة وأصول الدين وفروعه، فصاروا سفراء الإسلام أولي رسالة واحدة ولسانا واحد يربطهم أفكار شاملة على اختلاف أوطانهم وتعدد لغات أمهاتهم[15].

هذا، فإن مدرسي اللغة العربية النيجيريين الذين تخرجوا في الجامعات العربية عملوا على إتقان اللغة العربية وإجادتها، واكتسبوا كثيرا من الخبرات المتعلقة بتخصصهم اللغوي، وكانوا يحافظون على مسؤوليات الثقافات العربية ويهتمون بها كل اهتمام، فهم من مسؤولي تطورها ونهضتها من حيث وضع مناهجها الدراسية، وحمل على تأسيس بعض المراحل العليا للدراسات العربية وتولي التدريس فيها، وإصدار الكتب التعليمية المناسبة لبيئة الطلبة على رغم اختلاف المراحل والمستويات الدراسية، فضلا عن نشر المقالات العلمية في شتى المجالات لبثّ الثقافات العربية الإسلامية وآدابها في أرجاء البلاد، وهاك فيما يلي مباحث ذلك بالتفصيل.

المؤسسة العلمية والتدريس فيها

قبل زيارة علماء نيجيريا الدول العربية -للدين أو العلم- كانت المدارس العربية الإسلامية في المجتمع النيجيري مقتصرة على المدارس القرآنية (الكتاتيب) والمدارس العلمية التقليدية (الدهاليز)، ولما زار العلماء العالم العربي عرفوا المدارس النظامية واقتبسوا مناهجها وأسس كثيرهم المدارس على غرارها، بل ومنهم من منح إجازة التأسيس والتدريس هناك مثل العلامة الشيخ آدم عبد الله الإلوري، وقد أفاد أنه لما أجرى المقابلة بالأزهر الشريف في الأربعينيات للالتحاق، مُنح بدل ذلك إجازة تأسيس المدرسة نتيجة ما رأوا منه من العبقرية النيرة والنجابة القاهرة، وعليه أسّس مركزه للتعليم العربي الإسلامي عام 1952م، ومنهم من تعاون معهم في التأسيس مثل مفتي إمارة إلورن المرحوم الشيخ محمد كمال الدين الأدبي الذي تعاون مع الأزهر على إنشاء معهد في مدينة إلورن 1964م[16].

هكذا نشأت المدارس النظامية في أرض نيجيريا، واستمرت الحال على هذا الأساس ريثما تخرج الطلبة فيها بالدفعات، واستزاد جلّهم في العالم العربي ولما عادوا تولوا الدراسة في المدارس العربية الأهلية وبعضهم في المدارس الحكومية على اختلاف مراحلها، وكان هؤلاء يخرّجون الطلبة على مستوى علمي ناجح حتى يوجد بين مثقفي نيجيريا حملة الليسانس والماجستير والدكتوراه في اللغة العربية من الجامعات النيجيرية، وكما يعدّ من بين الأساتذة الجامعين النيجيريين طلبة اللغة العربية الذين ارتقوا إلى درجة الأستاذية، حيث لم يفكر متعلم اللغة العربية النيجيري -من قبل- إمكان جلوسه في قاعة الجامعات النيجيرية الدراسية فضلا عن حوزة منها الشهادة العلمية، هذا من ظواهر البعثة من ناحية.

المنهج الدراسي

كان المنهج التقليدي هو المتبع في تدريس الأبناء في المجتمع النيجيري قبل الاحتكاك بالعالم العربي، إذ كانت عملية التدريس قبلئذ تمارس بغير منهج دراسي يُستمد منه ويُستند إليه، على حين أن المنهج الموضوع لتدريس اللغة العربية في المدارس الحكومية خصوصا في المرحلة الثانوية منهج منحرف سقيم، وعلى هذا يقول البروفيسور نائبي سويد: "...اتباع منهج سقيم في تعلم تلك اللغة

للتلاميذ الأمر الذي جعل كثير من تعلموا اللغة العربية على ضوئه لا يستطيعون التعبير عن أنفسهم إلى حد ما لا يستطيعون قراءة الكتب العربية السهلة قراءة صحيحة بل وأكثر من ذلك نجد معظم هؤلاء في نفور متزايد من تعلم اللغة العربية[17]". وللبعثة والمبعوثين الأثر الجلي في التعديل والتحسين إلى حد ما نراه اليوم، ذلك أنه لما بدأت فكرة إرسال الطلبة إلى بلاد العرب اشترط على المدرسة الراغبة في تحصيل المنح لها والتي تريد إرسال الطلبة إلى الخارج معادلة منهجها الدراسي مع منهج مدارس الدولة العربية التي تريد إرسال إليها قبل تحقيق رغبتها، ومن ثم رأت الإدارات المدرسية ضرورية وضع المنهج السوي للدراسة، أو تبني المنهج العربي للتدريس، وإلى جانب هذا وقد قام بعض المبعوثين بإجراءات المعادلة لمدارسهم بعد الالتحاق بالجامعة، وإرسال وثائقها إلى إدارتها بعد الحصول عليها، وعلى هذا الأساس تمّت المعادلة -منذ الثمانيات- بين جامعة أم القرى بمكة المكرمة ومعهد زمرة الصالحين بمدينة إلورن نيجيريا لمؤسسها المرحوم الشيخ أبوبكر بن صلاح الدين أَبَرِغِدَوْمَا على يد خريج المعهد السيد عيسى زكريا. هذا من ناحية،

ومن ناحية أخرى كان المبعوثون يعودون إلى أرض الوطن وينضم جلهم إلى هيئة التدريس، وقد استطاع كثيرهم في مشاركة غيرهم في وضع المناهج أو مراجعتها وتعديلها لتدريس اللغة العربية في المدارس الأهلية والحكومية، ولقد تولى مثلا المرحوم الدكتور علي نائبي سويد -وهو من خريجي جامعة الأزهر- رئاسة لجنة المراجعة لمنهج تدريس اللغة العربية بوزارة التربية كنو عام 1980م، وكما قام الأستاذ عبد اللطيف أَدَيْكِلَيْكُنْ والدكتور أحمد سعد الدين الكاتبي -هما من خريجي جامعة الأزهر- والدكتور حمزة عبد الرحيم -خريج ليبيا- بوضع المنهج للمستوى الدبلومي 1985م والمستوى الجامعي 1997م للدراسات العربية بكلية التربية لولاية كوارا، بإلورن. وفي عام 1995م اجتمع نواب المدارس العربية الإسلامية في كلية الدراسات العربية والشريعة الإسلامية لولاية كوارا، بإلورن بدعوة من محاضري الدراسات العربية والإسلامية فيها الذين كان أغلبيتهم خريجي جامعات الدول العربية، وعلى رأسهم الدكتور عبد الحميد أمين الله أَوْلَوْهُن أَوْبِنْ عميد معهد الدراسات العربية والإسلامية بالكلية حينئذ، والشهيد الحاج عثمان أبوبكر أَيلَبِنْلَا رئيس قسم اللغة العربية بها وقتئذ، وهما خريجا جامعة الأزهر، فالغرض من الدعوة حملهم على توحيد مناهج مدارسهم المتفاوتة ليمكن التحاق كل طالب من المدارس بالكلية على المستوى العلمي الواحد، ذلك عندما لاحظوا أن جلّ الطلبة الملتحقين بهذه الكلية متفاوتون مستوى وخلفية، وأن السبب في ذلك فيما يبدوا ضعف مناهج بعض المدارس الدراسية. وهكذا قام خريجو الجامعات العربية بإصلاح الأوضاع ونقل الخطة إلى الأمام من ناحية المنهج.

الكتب المدرسية

ومن مظاهر الرحلة العلمية حمل العلماء على إصدار الكتب لسد ثغرة أو ترميم وضع دراسي، وقد أدرك العلامة آدم عبد الله الإلوري خلال رحلته العلمية العيب الذي يعير بلادنا من عدم وجود كتاب تاريخي ينطق بشأن الإسلام والمسلمين فيها وقام بذلك، وها هو ذا يقول:

> في سنة 1946م عندما كتب الله لي السفر إلى الحجاز (المملكة العربية السعودية) لتأدية فريضة الحج ومررت في طريقي بالسودان ومصر (الجمهورية العربية المتحدة) وكان تساؤل العلماء الذين اتصلت بهم عن أحوال بلادي وتاريخها أهم ما استرعى انتباهي وأيقظ شعوري بالنقص الذي يعيرنا من عدم الاهتمام بتاريخ بلادنا فآليت على نفسي أن أبحث عن هذا التاريخ وأن أملأ ذلك الفراغ بكتاب عربي ينطق في ذلك بالحق. فمنّ الله

عليّ بإخراج كتابي "الإسلام في نيجيريا" إلى الناس عام 1950 فوعدت القراء بإخراج كتاب آخر تحت عنوان قاموس نيجيريا ثم جرت الرياح بسفينتي إلى لجج الإرشاد والتعليم وإلى إنشاء مركز التعليم العربي 1952[18].

وبالنسبة للكتب التربوية أدرك خريجو الدول العربية أن كثير الكتب المستعملة في المدارس مستوردة وغير مناسبة لبيئة المتعلم، كما لاحظوا أن عدم وجود كتب مناسبة للدراسة العربية من أهم المشكلات في سبيل التعلم العربي في المجتمع، وأن الكتب المستعملة في بعض المعاهد العليا في الوهلة الأولى مقررات المدارس الابتدائية في بعض البلاد العربية[19]، وفوق ذلك فإن كثير مدرسي اللغة العربية في المدارس الأهلية كانوا يختارون الكتب من غير مراعاة المناسبة وعدمها للطلبة. وقد شمر هؤلاء الخريجون عن ساقهم وأصدروا الكتب أو المذكرات المناسبة للدراسة في المجتمع، إجابة لرأي المربين الذي يؤكد أن تكون الكتب التعليمية في أمة مؤلفة على أيدي القائمين بعملية التدريس فيها، إذ لكل أمة منهج دراسي تستمد منه نظرا لسياسة التعليم السائد فيها، ومستويات المتعلمين "صاحب الدار أدرى بما فيها".

وبهذا تغلب المجتمع النيجيري الثقافي على المشكلة من هذه الناحية وخاصة في المدارس النظامية، حين قاموا بتأليف الكتب وإعداد المذكرات للتدريس على رغم اختلاف المواد وأصبحت كل من المواد العربية تنفرد بكتاب لائق بها. وأما نوعية الكتب المؤلفة عندهم نوعان هما الكتب المرجعية والكتب المدرسية.

الكتب المرجعية

أعني بهذا الكتب المتولدة من المجهود الشخصي أو من الرسائل الأكاديمية التي يمكن رجوع إليها للبحث والدراسة والمطالعة وإعداد الكتب التعليمية، ومن إنتاجاتهم في هذا الخصوص على سبيل الذكر لا الحصر: "الثقافة العربية في نيجيريا" للمرحوم الدكتور علي أبوبكر، و"حركة اللغة العربية في نيجيريا" للبروفيسور شيخوا أحمد سعيد غلادنثي هما من أصل الدكتوراه، و"مستقبل اللغة العربية في نيجيريا" للبروفيسور مرتضى بدماصي، و"الأدب الإسلامي في ديوان العلامة الإلوري" للبروفيسور عبد الباقي شعيب أَغَاكَ، وهذه الكتب المذكورة وغيرها الكثيرة من المراجع الهامة للثقافة العربية في نيجيريا.

الكتب المدرسية

أي الكتب التي وضعت خصيصا للتدريس والتعليم في المؤسسات العلمية فهي كثيرة، وفي علم الأصوات يوجد: "فونولوجيا العربية لطلاب المعاهد والكليات بغرب إفريقيا" للدكتور حمزة إشولا عبد الرحيم، وهو مقرر خاص للدراسة هذا الفن في ربوع نيجيريا، وفي الإنشاء: "الإنشاء العصري لطلاب العربية وكليات التربية والجامعات" للدكتور أحمد سعد الدين الكاتبي، وفي القراءة وفن الترجمة: "الفكهات والحكايات والترجمة" لطلاب المعاهد العليا بنيجيريا"، للمرحوم الشيخ عثمان أبوكر أَيلَبِنْلاَ، وكذلك "الطريقة الحديثة في تعليم القراءة والإنشاء والترجمة" للدكتور إبراهيم إسحاق أُولاَبِولاَ، و"أسس البحث الأكاديمي" في أصول البحث وأساليبها للبروفيسور عبد الغني عبد السلام أُولاَدَوْشُو، وفي الأدب والنقد العربي ألف المرحوم الدكتور نائب سويد "كيف نتذوق الأدب العربي"، وفي الشعر أبرز الشهيد سليمان أَدَيْبَايَو أحمد ديوان "السطور العاطرة"، وفي علم النفس التربوي ألف الأستاذ عبد الحمن تُنْدَيْ صديق "الوجيز في علم النفس"، وفيه أيضا كتاب "مبادئ علم النفس" للأستاذ يونس يعقوب صلاح الدين، وهلم جرا.

فهذه الكتب المذكورة هنا برمتها بالإضافة إلى المذكرات الكثرة المعدّة للتدريس العربي

والإسلامي في المدارس، تمَ إصدارها على أيدي خريجي الدول العربية المختلفة، نحو تطور الثقافات العربية الإسلامية ورفع مستواها إلى الأمام في هذه الديار.

كسب اللغوية

إنه غير خاف على متعلم نيجيري داخلي أن الاتصال المحدود بالاتجاهين هو الطريق المعتاد في التعليم العربي في المدارس، حيث يأخذ الطالب العلم عبر لغته الأم ويستجيب له أيضا بواسطتها، وكانت اللغة الإنجليزية هي الوسيلة لدى آخرين خاصة في بعض الكليات والجامعات، وقد عاب الشيخ آدم الإلوري هذا الأسلوب قائلا:

> أليس من المضحك المبكي أن يكون تدريس اللغة العربية في هذه الجامعة بالإنجليزية؟ وأن يرشح الطالب الذي يلتحق بهذا القسم على أساس مستواه الإنجليزي فيدرس العربية لمدة أربع سنوات فيحصل على بكالوريوس ثم لا يقدر أن يتكلم العربية بطلاقة ولكنه بلبل صدوح في الإنجليزية[20].

وأما اليوم فالأمر بخلاف ذلك، منذ أن انخرط خريجو الدول العربية في هيئة التدريس -خاصة- في المعاهد العليا حيث يتم التدريس حاليا عن طريق الاتصال باتجاه واحد أي عن طريق اللغة الهدف -العربية- وبها، وبهذا أخذت اللغة العربية تذعن وتنقاد للطلبة للخطابة والكتابة. ومن الذين يشيد الطلبة بذكرهم من المبعوثين في هذا الصدد المرحوم علي نائبي سويد الملقب بسيبويه نيجيريا، بجامعة كنو سابقا، والبروفيسور عبد الباقي شعيب أَغَكَ الملقب بـ"جبل البلاغة" بجامعة صكتو، والبروفيسور عبد الغني عبد السلام أَولاَدَوْشُو الخطيب المصقع بجامعة إلورن، والبروفيسور مرتضى بدماصي الكاتب النحرير، بجامعة لاجوس، والدكتور محمد قاسم بدماصي النحوي المشهور، بجامعة الحكمة إلورن، والأستاذ المشارك حمزة إشَولاَ عبد الرحيم والدكتور مشهود محمود محمد جمبا هما بجامعة ولاية كوارا، مَلَيْتَيْ، نيجيريا.

وهؤلاء الأساتذة الجامعيون المذكورون وغيرهم الكثيرون خريجو جامعات الدول العربية، ولهم الدور الإيجابي لا يغفل في اكتساب الطلبة النيجيريين اللغة العربية الفصحى من حيث الأداء والإنشاء.

المجلة الأكاديمية والصحيفة

تمثل المجلة الأكاديمية مركز التلاقي بين الباحثين والأساتذة الدؤوبين المعنيين، إذ هي سجل للعلوم والآداب ومرجع للبحوث العلمية والثقافية. وقد ساهمت المجلة الأكاديمية في تطور الثقافات العربية الإسلامية في المجتمع النيجيري، ولها قسط لا يستهان به في حقلها ومسرحها. ومن المجالات الأكاديمية في نيجيريا:

1- **مجلة نتائس:** تصدر عن الجمعية الوطنية لمدرسي اللغة العربية والدراسات الإسلامية في نيجيريا.
2- **مجلة اللسان**: تصدرها جمعية مدرسي اللغة العربية وآدابها في نيجيريا (نتال).
3- **النهضة**: مجلة الدراسات العربية تصدر عن جامعة صكتو، نيجيريا.
4- **مجلة "جاس"**: للدراسات العربية والإسلامية من قسم الأديان، جامعة إلورن، نيجيريا.
5- **الفكر**: من قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة إبادن.
6- **الحضارة**: مجلة الدراسات العربية والإسلامية، تصدرها جامعة ولاية ليغوس.
7- **الأقلام**: من قسم اللغة العربية، جامعة ميدوغري، نيجيريا.

8- **اللوح**: من كلية الآداب جامعة ميدوغري، نيجيريا.
9- **الأصالة**: من شعبة اللغة العربية، جامعة الحكمة، إلورن.
10- **القرطاس**: من قسم اللغة العربية، جامعة كدونا، نيجيريا.
11- **مجلة أسبوع الشيخ آدم عبد الله الإلوري الثقافي**: عن مركز التعليم العربي الإسلامي، أغيغي، نيجيريا.

لا شك أن فضل نشأة هذه المجلات راجع إلى محاولة خريجي الجامعات العربية المختلفة مع مشورة غيرهم من الأساتذة الكبراء، وظلوا يحتلون أماكن الصدارة بين هيئة تحريرها وأصحاب أقلامها.

وبالنسبة للصحيفة العربية توجد إلى حد الآن صحيفة **"الرسالة"** 1993م تصدر عن هيئة أدبية في مدينة إلورن، فهي أولى الصحائف العربية في ربوع البلاد، فصحيفة **"أخبار الكلية"** 1995م من قسم اللغة العربية بكلية الدراسات العربية والشريعة الإسلامية لولاية كوارا، إلورن، فتعتبر أولى صحيفة صدرت في حرم أكاديمي بنيجيريا، ثم صحيفة **"أخبار الجامعة"** 2013م فهي الصحيفة الرسمية التي تصدرها -دوريا- شعبة اللغة العربية بجامعة ولاية كوارا بِمَلَيْئَيْ لبث الأخبار الخاصة بهذه الجامعة منذ عام 2013م، فلم يسبق لها مثيل في تاريخ الجامعات النيجيرية، كان يتولى رئاسة تحرير الصحائف الثلاث المذكورة أحد خريجي جامعة الأزهر بشخصية الدكتور مشهود محمود محمد جمبا، وقد انقرضت حياة الصحيفتين الأوليتين "الرسالة وأخبار الكلية" بمرور الأيام، ونسأل الله لثالثتهما مدّ الحياة وكثرة من أمثالها كي تتمكن هي أخرى من بث ثقافات هذه الأمة العربية حتى الصعيد العالمي.

وهذه المحاولة الأكاديمية -المجلة والصحيفة- كانت ولا تزال تسعى وراء نقل خطة التثقف العربي الإسلامي إلى الأمام في هذه الديار.

التوصيات

نظرا لخيرات البعثات التعلمية الجمة، وكونها عاملا فعالا من عوامل النهضة والنمو في مسرح الثقافات العربية والحضارة الإسلامية، يقدم الباحث الاقتراحات الآتية في سبيل تحسين أمرها في ديار نيجيريا والدول المماثلة في العالم:

- تنبغي مواصلة العلاقة بين المدارس العربية النيجيرية والمدارس العربية في العالم العربي، لما في ذلك من نهل المعلومات من منابعها الصافية، وتعارف أبناء المسلمين بعضهم بعضا.
- أن لا تني الدول العربية في توزيع المنح الدراسية على طلبة اللغة العربية في نيجيريا، لما في ذلك من إمكانية المواصلة الدراسية في أرضها.
- وعلى الدول العربية تضمين اللغة الإنجليزية في مناهج تعليم النيجيريين لديهم وإجبارهم على تعلمها، لأنها لغتهم الرسمية وبها يستطيعون أن يتكيفوا مع مجتمعهم تكيفا تاما.
- نستحسن قيام كل خريج اللغة العربية في الجامعات غير العربية زيارة العالم العربي للدراسات العليا أو للرحلة التفقدية أو الترفيهية، كي يستطيع تجويد معلوماته هناك ويكتسب مصطلحات غير متعلمة في جدران المدرسة.
- نتوقع من خريجي الدول العربية في نيجيريا -بالإضافة إلى محاولاتهم إزاء الازدهار والنهضة- القيام بالتمثيليات العربية التربوية والسياسية والاجتماعية عبر الأفلام الحديثة لتكتمل مسؤولياتهم ومساعيهم الثقافية معا.

الخاتمة

حاولت هذه المقالة المتواضعة استنباط مظاهر البعثة الدراسية العربية في نيجيريا، وانتهت

الدراسة والبحث بها إلى أن هذه الحركة عامل فعال من عوامل النهضة للتثقف العربي النيجيري ورافد من روافد ازدهاره الناجعة، وقد تمثل ثمرها في تحسين مهنة التدريس، وتوحيد المناهج أو تعديلها، والكسب اللغوي لدى الطلبة، وإصدار الكتب الملائمة، ونشر المقالات العلمية عبر المجالات الأكاديمية وغير ذلك من التطورات التي لا بد لها في الحقل التربوي المعاصر.

الهوامش:

1- شيخو أحمد سعيد غلادنثي (1414هـ1992م). حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، شركة العبيكان للطباعة والنشر-الرياض، (صـ 62).
2- المرجع نفسه، صـ 49 و63.
3- المرجع نفسه، صـ379.
4- المرجع نفسه، صـ63.
5- المرجع نفسه، صـ205.
6- يوجد هذا بين صـ205-207 من هذا الكتاب.
7- هيئة التدريس بمركز العربي الإسلامي، لقطات من قصائد الإلوري، مطبعة الثقافة الإسلامية، أجيجي- نيجيريا، غير مؤرخ، صـ46.
8- غلادنثي المرجع السابق، صـ208.
9- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
10- المرجع نفسه، صـ210.
11- المرجع نفسه، صـ212.
12- أحمد أبوبكر عبدالله (2004م). "أثر البعثات التعلمية والمنح الدراسية في تطور الدراسة العربية في ولاية كوارا" بحث مقدّم إلى جامعة أدو أيكت عام 2004م للحصول على شهادة الليسانس في الدراسات العربية والتربية صـ17.
13- المرجع نفسه، صـ17-18 مع تصرف يسير.
14- الدكتورعلي أبوبكر (1972م). الثقافة العربية في نيجيريا، صـ475.
15- البروفيسور عبد الرزاق ديريمي أبوبكر "الشيخ آدم عبد الله الإلوري في موكب الخالدين". مجموعة بحوث ودراسات علمية قدمت في المؤتمر الدولي عن حياة الشيخ آدم عبد الله الإلوري وأعماله بجامعة إلورن، نيجيريا عام (1433هـ/2012م)، م1، صـ31.
16- انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، للشيخ آدم عبد الله الإلوري، صـ152.
17- أحمد أبوبكر عبد الله، المرجع السابق، صـ25.
18- آدم عبد الله الإلوري (1965م). موجز تاريخ نيجيريا، دار مكتبة الحياة-بيروت، صـ7-8.
19- انظر: غلادنثي المرجع السابق، صـ228.
20- آدم عبد الله الإلوري (1405هـ 1985م). الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، مكتبة وهبة، القاهرة، صـ 155.